

متضاربة، وصلت إلى حدود الإقصاء البلاغي من جهة، وهدى خصوصيتها السردية من جهة ثانية، ليختزل السجال بشخصيتها المحورية ابن عربي

العربية: لها أم عليها؟

فوز كبير لـ «موت صغير»

للسلطان من أحد أبناء تيمور. ثم ينتقل المخطوط إلى استانبول. ثم يستطيع عبد القادر الجزائري أن يحضره إلى دمشق ثانية. لكن أثناء قصف الفرنسيين لدمشق، ينتقل المخطوط إلى حماه. وأثناء أحداث حماه 1982، يهرب المخطوط إلى دمشق ثالثة، خوفاً من جيش السلطة السورية التي كانت تحارب فقهاء الإخوان المسلمين - والفقهاء أعداء الأذلاء للصوفية كما تقول سيرة الرواية، يصل إلى بيروت بسبب الأحداث الأخيرة التي عصفت بالبلاد 2012. وربما منها إلى يد الروائي الذي نسخه إلى روايته «موت صغير». ربما باستثناء النسخ (الاقتباس) لا يبدو شيئاً أبيض في هذه الرواية. هي تذخر بالخلافات الدينية والطائفية من إشبيلية إلى دمشق مروراً بالقااهرة، بين المسيحيين والمسلمين من جهة، وبين الرشدية والمتصوفة والمذاهب الإسلامية من جهة أخرى. ربما أكثر ما ينبغي التأكد منه في سيرة ابن عربي على لسان محمد حسن علوان هو إن كان ابن عربي قد تسبب أو ساهم حقاً في سجن ابن رشد ومحنته! لا أدري هل كان كل ذلك من نسج خيال الروائي كما يدعي مانحو جائزة «بوكر» أم جاء على سبيل التسلية واللعب اللغوي كما يدعي الروائي ذاته؟! «موت صغير» لم تضاف إلى لغة ابن عربي، ولطائفها التخيلية، والمعنوية أي شيء جديد بقدر ما اتكأت عليها في سرد تقريرها لأحداث عادية يعيشها الصوفي وغيره. بل أبدت اضطراباً في فهمها، لا سيما حين ربطت رؤى ابن عربي بحالات المرض والحصى، أو تفسيرها على سبيل المجاز بين الظاهر والباطن لبعض قراءته مثل حديث «علموا أولادكم الرماية والسباحة»، أو تفسيرها على سبيل الحقيقة لأية قرآنية تتعلق بشرب الخمر. بما يجعل ابن عربي ذريعة وأداة للعبة خطابية راهنة، أكثر منه ضرورة تاريخية لها.

* ناقد سوري

المكينة»، وزمانها، وكيف عاش طفولته، وصباه، وشبابه، في الأندلس، زمن الموحدين، وارتحل عنها، لتحكي أثناء ذلك الصراعات على الحكم بين العرب والبربر والفرنجة. بينما ابن عربي مشغول بالقرأة وتحصيل المعارف من أجل الوصول إلى مرتبة أولياء الله الصالحين. وليتمكن من ذلك، عليه أن يتعرف إلى أوتاده الأربعة، فيغرق في رحلة طويلة. وتده الأول شيخه «الكومي» في إشبيلية. وتوته الثاني «الخياط» وريت «الحضار»

”

تذخر بالخلافات الدينية والطائفية من إشبيلية إلى دمشق، مروراً بالقااهرة

“

الذي مات قبل أن يعرف ابن عربي بمرتبته في القاهرة. و«نظام» التي أحبها وكتب فيها ديوانه «ترجمان الأشواق»، ولم يستطع الزواج منها لأنها كانت وتده الثالث في بغداد. وفي «مليطة»، تعرّف إلى وتده الرابع «شمس الدين التبريزي». يطمئن الشيخ المتصوف إلى إيمانه، فيذهب إلى أنريجان، ليعتزل الناس في كوخ جبلي، ويخط سيرته، ثم يعود ليتنقل بأسرته إلى حلب، فدمشق. بعد أن يموت ابن عربي، ينتقل مخطوط «سيرته» إلى مريده «سودكين». يودعه ابنه «هاهر» لدى خادم ضريح «ابن عربي» في دمشق. حين مجيء النثر، يذهب المخطوط إلى الكرك مع أحد المتصوفة. ثم ينتقل منها إلى سمرقند مع «أبي الفداء». يصل إلى «أماسيا» هدية

نديم الوزه *

توّجت «موت صغير» للسعودي محمد حسن علوان بجائزة «بوكر» العربية في نسختها الأخيرة. هي سيرة روائية «متخيلة» - حسب توصيف لجنة الجائزة - لحياة محيي الدين بن عربي. أما لماذا يتخيل الروائي سيرة علم من علماء الصوفية أدباً وفكراً؟ فلا أحد يجيب على ذلك. حتى محمد حسن علوان نفسه يتنصل من الإجابة، ويرى أن روايته نوع من الكتابة البيضاء، وبلا رسالة. وكنت أتمنى ذلك، لأقرأ شكلاً جديداً من السرد العربي بناءً ولغة. لولا أن الرواية ذاتها تقدم إجابة أخرى قد لا تقارب رغبة الراوي بقدر ما تجهد لنقضها فصلاً بعد آخر. تستعير «موت صغير» بنيتها الزمنية من رواية «الموريسكي الأخير» لصبحي موسى، في تقسيم زمنها إلى زمنين: زمن ترحال مخطوطة محيي الدين بن عربي بداية من كتابتها في أنريجان 610/1212، ليتّم بيعها أخيراً في بيروت 1433/2012. وزمن السيرة المتضمن في المخطوطة من غير تحديد زمني للأحداث التي تبدأ من ولادة ابن عربي في الأندلس حتى وفاته في دمشق.

كما تحيل بنية سردها الدرامية لرواية «حرمة» لعلي المقرئ، لكن بينما تحتفي عناوين «حرمة» بعبارات من أغنية لأم كلثوم، لأحداث غيرها، تحتفي «موت صغير» بعبارات من ابن عربي نفسه لتضيء حوادث سيرته، أو تستضيء بها، أو تجد لها تفسيراً واقعياً، أو من خلال ما يتخيله الروائي لها من أحداث تخض علاقاته بعائلته وأصدقائه وأصحاب الحكم في كل مكان وزمان يتواجد فيه. داخل البناء المستعار، تقوم الرواية على متواليات تقليدية للسرد التاريخي المتناسك والمغلق على حياة محيي الدين بن عربي وحدها، لا سيما في زمن السيرة. تحكي مكان ولادة صاحب «الفتوحات

وبشخصيات مثل «ابن أربي» حسب تسميتها، لتأكيد «صورة قديمة رثة للشرق» باعتبار «الصوفية» هي أبرز منتجاتنا الفكرية»، مذ وضع الغرب هذه البضاعة على «خريطة الموضة العالمية» والتهلل لها بدمغات متجاوزة تضم «ابن أربي»، و«رومي»، و«الهلاج»، كنوع من الترفيه أو حلقات الذكر والبخور من «شرق غيبي ومنفصل عن الواقع». وتستدرك الشاعرة الأردنية من موقعها كقارئة أن اعتراضها يتعلّق بالمحتوى والمعالجة، لا القيمة الجمالية للرواية، أو المحاصصة الجغرافية. ربما يكمن خطر جوائز الرواية بتضييق مساحة القراءة الموسمية لحفنة من الروايات المتوّجة بجوائز فقط، وإهمال عشرات الروايات المهمة التي خرجت من المعادلة لسبب أو لآخر، بالإضافة للحمى النقدية التي تبيع وتشتري في أسواق الروايات الرائجة دون غيرها!

في توابع الزلزال، سنقع على آراء أخرى تتعلق بأسباب الاهتمام بمتصوّف مثل ابن عربي في هذا التوقيت تحديداً، وهل هو استكمال لموجة «قواعد العشق الأربعون» للروائية التركية أليف شافاق؟ الرواية التي تناولت سيرة جلال الدين الرومي وشمس الدين التبريزي بحس استشرافي، تُرجمت إلى معظم لغات العالم المتعطّش لروحانيات الشرق، وجلبت لصاحبها شهرة عالمية، بما فيها لغة الضاد منبت الروحانية والصوفية (1). على الأرجح، فإن هذه الموجة عصفت بقراء العربية وكتابها، بتأثير الميديا ومطحنة الاستشراق، وإغراء «البيست سير» بما يشبه العودة إلى صيدليات طب الأعشاب في تركيب الوصفات الشعبية. هكذا التقطت جمانة مصطفى ثيمة الاستشراق في هذا الطراز من الروايات التي تعمل على استحضر الغيبيات الشرقية لإرضاء هوس الغرب بالصوفية

جاو فازيندا - البرتغال



جائزة أم مؤامرة؟

محمد جعفر *

كلما ظهرت نتائج جائزة أدبية عربية واكبها لغت كبير، تتباين فيه الأصوات بين مرحب ومستهجن. وقد تصل حدة الأصوات في أحيان كثيرة إلى درجة التخوين. ولعل ما تثيره جائزة «بوكر» العربية وحدها من ردود، يكاد يتجاوز مثيلاتها من الجوائز مجتمعة. ومن خلال معاينة مجمل الجوائز العربية، يمكن الخروج بجملة من الملاحظات تنحصر في التالي:

1. الخيمة أو الموضوع، وغالباً ما تكون الغلبة للنص التاريخي («موت صغير») لمحمد حسن علوان كمثال) في مقابل النص الذي يتعرض إلى الراهن بالنقد والتحليل من منطلق أنه نص إشكالي.
2. الاعتبارات السياسية والأجندات الدولية، بحيث يروج للأعمال التي تنتصر للحوار أو تتضمن خطابها المصالحة ونبد العنف («مناثر») لربيعي المدهون كمثال). كما تغمر الروايات التي لا تحقق إجماعاً دولياً كالأزمة السورية واليمنية، كأننا أمام توصيات ما!
3. نظام المحاصصة، أو التوزيع الجغرافي ابتداءً من القائمة الطويلة. والملاحظ مع كل دورة تباين الأعمال جغرافياً، ثم عدم تحقق الفوز توالياً لكاتبين من بلد واحد.
4. البدانة الروائية بتعبير سعيد يقطين،

إذ لم نشهد خصوصاً في البوكر العربية نصاً فائزاً في حدود مئة صفحة، بينما في الجوائز الدولية، يعتبر هذا طبيعياً («حجر الصبر» لعتيق رحيمي، «ميرسو تحقيق مضاد» لكامل داود). كما يمكنني أن أضيف أن حجم العمل نفسه شكّل لي عائقاً في إتمام كثير من الروايات الفائزة بما فيها «موت صغير»، كوني أعتبر أن الرواية هي تعبير عن أزمة، يحضر فيها الفيض كامتداد منها وإليها (الأزمة). غير ذلك فهو أطناب وحشو لا يخدم النص بل يضعفه.

5. وإذا كنا نجد جائزة مثل البوكر تميل لفئة الشباب والمغمورين (سعود السنوسي كمثال)، فإن جائزة مثل «كتارا» أو «الشيخ زايد» تميل في أغلبها للمكسر، حتى أننا ننسأله أحياناً: هل فاز الكاتب لشخصه أم لمنجزه؟

يمكن لهذه الملاحظات مشتركة أن تشكل العناصر التي يجب أن تتوفر في العمل الروائي حتى يحظى باهتمام لجان التحكيم، وهي لجان نجدتها بدورها خاضعة لأمناء الجائزة أنفسهم (يمكن الرجوع إلى ما قاله نبيل سليمان في هذا الصدد). كما يمكن لهذه الملاحظات أيضاً أن تضعنا أمام جملة من الإشكالات التي يمكن أن نجعلها في التالي: ماذا عن تلك الأعمال التي تطرقت إلى الشأن السوري أو اليمني كمثال؟ وهل كانت أقل جودة

أم أنها نصوص يغيب عنها الإجماع؟ هل حقاً الرواية المغاربية أضعف من مثيلتها المشرقية؟ وهل يمكن الإنكار أن غايبة الجوائز اليوم توجيه القارئ العربي وإعادة تشكيل وعيه وبرمجته؟ ألا يتم بالتالي حجب الضوء عن أعمال أكثر قيمة؟ ألا تشكل الجوائز بشكلها الحالي خطراً يحدق بالكتابة الروائية بعدما جعلت الكاتب فيها تابعاً قريباً من سياساتها بعيداً عن الإشكالات والمنازق التي يعيشها؟ ثم ألا يؤكد كل هذا فكرة المؤامرة. مؤامرة تحبب خيوطها أباد خفية تخدم أجندات بعينها؟ لطالما تخندق الكاتب العربي خلف اليسار العربي، رغبة منه في الفوز بامتيازات معينة. هذا الكاتب نفسه لم يطل به الأمر بعد سقوط المعسكر الشرقي حتى غير موقعه وقناعاته. لاحقاً، جاءت الجوائز لتسد الفراغ الذي تركته السياسة، وهي اليوم تختصر لسياسات الدول على حساب الشعوب. كذلك اصطف خلفها جيل كامل نجده خاضعاً في غالبه لإملاءاتها، كما ربض خلفه الجيل القديم، جيل لا يخدمه بالطلق هيمنة الشباب على الجوائز واكتساحهم للمشهد الثقافي.

* رواي مغربي

مقالات أخرى على الموقع